قصة
قصيرة
أسوء إجازة
خيرة بن سعيد

المقدمة:

مغامرة دامت أسبوعا لكاتبة ذهبت في رحلة مع عائلتها الصغيرة لحضور حفل زفاف أحد أقارب الزوج في شرق البلاد، فانقلبت الزيارة المرحة إلى أسوء إجازة قضتها في حياتها، استمتعوا بقراءة ما حدث مع تحيات الكاتبة خيرة بن سعيد.

أسوء إجازة

ركبت عائلة عمار السيارة و أقلع بهم نحو شرق البلاد إلى جيجل، و بالتحديد إلى الزيتونة المنطقة الجبلية التي كبر فيها.
بعد فترة من السير طلب الابن إلياس من أمه الدخول إلى المرحاض، فتوقفت السيارة و أخذ عمار ابنه لقضاء حاجته..
كانت ريما تجلس لوحدها فلمحت جسما غريبا كأنه يراقبها من خلف الأشجار، أحست ببعض الخوف و ارتفعت دقات قلبها و فجأة ظهر ابنها أمام نافذتها..
- بوو !!
- آه.. صرخت ريما
فقال عمار و هو يركب السيارة:
- هل أفزعك لهذه الدرجة ؟
- لم أنتبه لقدومكما !
- فيم كنت تفكرين ؟
- ها ؟ لم أكن أفكر، لقد رأيت شيئا خلف الأشجار هناك لا تقلقي، ربما كان كلبا أو ما شابه، هل ستكتبين قصة رعب عن هذا ؟
- توقف عن المزاح..
قالت ذلك و هي تضحك ثم أردفت:
- لكنها فكرة جيدة عموما، ربما يساعدني هذا التغيير على العودة للكتابة
رد زوجها بابتسامة:
- آمل ذلك، اشتقت لقصصك حقا.

انطلقت السيارة في طريقها إلى أعلى الجبل، و عندما وصلوا طلب الأب من زوجته أن تغمض عينيها بعدما أوقف سيارته، فتح لها الباب و أخرجها من السيارة، مشيا قليلا ثم قال:
- افتحي عينيك الآن
فتحت ريما عيناها و فاهها من الدهشة عندما وجدت المنزل مزينا بالأضواء و الزهور، فقالت بدهشة:
- ما كل هذا ؟

- لمسة خاصة لاستقبال زوجتي العزيزة.
- هههههه، متى و كيف ؟
- باتصال سريع، وكلت جنية بفعل هذا
- آه يا حبيبي ! شكرا لك
قبل يديها و قال:
- ليس عندي أغلى منكما
قالت ريما و هي تنظر حولها:
- أين إلياس ؟
فرد عمار:
- لا بد من أنه قد سبقنا إلى الداخل
- لنتبعه إذن
دخل الزوجان فوجدا ابنهما نائما على الكنبة، قال عمار و هو يبتسم:
- لا بد من أنه متعب
- أجل، سآخذه لغرفته و أنت أدخل الحقائب لو سمحت
- حسنا عزيزتي
بعدما وضعت ريما ابنها في سريره توجهت إلى المطبخ و أعدت عشاءا خفيفا لهما.

في الصباح جلست العائلة معا لتناول الإفطار، قال إلياس بعدما وضع دميته جانبا:
- أبي ! هل سنذهب لرؤية جدتي ؟
أجابه عمار:
- هل تريد زيارتها؟
-أجل، أود ذلك يا أبي
-حسنا سوف آخذكم إليها
-فلنذهب يا إلياس لنستعد..
أخذت ريما إلياس من يده و راحا ليجهزا أنفسهما.

بعد ساعة من الزمن، فتحت الأخت الصغرى الباب، فتفاجأت بزوارها:
- عمار ! أخي !!

- أهلا يا بشرى
- كيف حالك يا ريما ؟ تفضلوا.. تفضلوا..
- هل أمي في البيت ؟
- أجل، إنها في غرفتها
- جدتي !! قال إلياس و هو يدخل غرفة الجدة
- آه، يا للمفاجأة، أهلا بصغيري الحبيب
دخل عمار إليها و لحقته ريما:
- أمي !
- عمار ولدي ! كيف حالك يا بني ؟
- مشتاق لك يا نور عيناي
- السلام عليكم يا خالتي
- ريما ابنتي ! سررت بمجيئكم
- و نحن أسعد برؤيتك يا أمي
- أهكذا تطيل الغياب عني يا ولدي ؟ يبدو أن مشاغل الدنيا قد ألهتك عن أمك !
- إنها الحياة، لم يعد الوقت كما كان و لم يعد الناس كما كانوا، فما دمنا نواكب عصر السرعة ما دمنا نفترق و نبتعد عن بعضنا البعض أكثر، سامحيني‌هذه المرة..
و قبل رأسها، فردت عليه:
- رضي الله عنك يا ولدي، رضي الله عنكم جميعا يا أبنائي
قالت ريما بابتسامة:
- كيف حال صحتك يا خالتي ؟
- آه يا ابنتي، اضطراب في الضغط و السكري لكن نحمد الله على كل شيء.
- له الحمد و الشكر.
توجهت الأم بحديثها إلى ابنها قائلة:
- هل ذهبت إلى خالتك فوزية و قدمت التهاني ؟
- لا، ليس بعد، فقد وصلنا البارحة و أنت أول من زرناهم ثم سنعرج على الباقين.
- حسنا يا ولدي
ثم نادت على ابنتها بشرى لتسرع في تحضير القهوة و التي أجابت هذه الأخيرة على الفور و هي تدخل الغرفة:

- ها هي القهوة يا أمي..
شرب الجميع القهوة ثم توجهوا إلى خالتهم، سلموا عليها و قدموا التهاني بمناسبة زواج ابنها ثم عادوا إلى المنزل.

في اليوم الموالي حانت ليلة الزفاف، لبست ريما أبهى حلة عندها و وقفت تنظر إلى المرآة، فوقف بجانبها ابنها البالغ من العمر خمس سنوات، و قال:
- هل أبو جميلا يا أمي ؟
- تبدو كالعريس يا قرة عيني، أتمنى أن أفرح بك في يوم كهذا.. فلنذهب إلى أبيك إنه ينادي علينا
أمسك إلياس بذراع أمه و توجها إلى خارج الغرفة، حيث كان عمار ينادي:
- هيا يا...
و فور أن رأى ريما توقف عن الكلامو فانفرجت أساريره بهجة و سرورا بهذه الحورية القادمة..
- عمار !! عمار !!
قالت ريما بخجل فلم يجبها، فأردفت:
لا تنظر إلي هكذا، يبدو شكلك مضحكا
حينها قال يمدحها:
- يا سليم، من أين لك بهذا الملاك الذي يقف بجانبك ؟
احمرت وجنتا ريما من الخجل أكثر و ابتسمت قائلة:
- هل أبدو جميلة حقا ؟
- أجمل منك ما رأت عيناي
- شكرا لك يا حبيبي، ألن نذهب ؟
- إلى أين ؟
- ههه لقد تأخرنا على عرس محمد
- ألا يمكننا ألا نذهب ؟
- عمار !! هيا لنسرع
- أخاف أن يحسدوك يا قمري
لا تخف، لن يحسدني أحد لكنني لا أضمن ألا يخطفني أحد..
قالت جملتها و هي تتجه إلى خارج المنزل فرد عليها مستغربا:
- يخطفك أحد ؟ ماذا تقصدين ؟؟ تعالي إلى هنا !!

توجهت العائلة إلى المدينة أين يقام العرس، و عند باب القاعة وقفت ريما و هي تمسك بذراع زوجها يتقدمهما ابنهما، و في لحظة توجهت جميع الأنظار نحوهم، فراحت العجائز يتغامزن:
- ما شاء الله، أنظري إلى جمال هذه العائلة..
- أرأيت، لقد أحسن الاختيار، زوجة كالقمر..
تقدمت منهما الخالة فوزية و قالت مرحبة:
- الله أكبر، الله أكبر عليكم، تفضلا..
ردت عليها ريما بينما اكتفى عمار بهز رأسه إيجابا:
- شكرا لك يا خالة، مبارك على محمد، بالرفاء و البنين إن شاء الله.
- إن شاء الله
توجهت العائلة و سلمت على العريس و العروسة ثم جلسا في طاولة صغيرة لوحدهم بعيدا عن البقية. و بعد لحظات استأذن عمار بالذهاب إلى الخارج، و هناك تبعه شخص كان قد سمع و تابع كل ما حدث..
- عمار !
- زينب !!
قالت الفتاة و هي تبتسم:
- جيد أنك لازلت تذكر اسمي، كيف حالك ؟
- أنا بخير، و أنت كيف حالك ؟
- أنا بخير ما دمت بخير، لقد اشتقت لك..
ثم حاولت أن تمسك يده لكنه أبعدها قائلا:
- أنا متزوج الآن يا زينب و عندي طفل.
- أعرف، لكن الحب الأول لا ينسى، أليس كذلك ؟
- خطأ، فريما و إلياس قد عوضاني على رحيلك مئات المرات، و أحمد الله على ذلك ليل نهار.
- فعلا!! على العموم لو احتجت لأي شيء فأنا موجودةدائما و تعرف رقمي القديم لم أغيره يوما لأجلك.
لا تقتربي مني مجددا، أتسمعين ؟ لا أريد رؤيتك و لا سماع أخبارك مجددا!!
- الحب القديم لا ينسى يا عمار تذكر هذا !

قالت ذلك و هي تهم بالمغادرة بينما عاد هو إلى طاولته مع زوجته و عائلته التي كانت سعيدة بأجواء العرس، و في ساعة متأخرة من الليل عادت الأسرة إلى منزلها في الجبل.

في الغد صباحا، جلست ريما مع عمار على طاولة الإفطار، ثم قالت و هي تسكب القهوة:
- هل أنت بخير ؟ تبدو متعبا
- أجل قليلا، سأتحسن بعد قليل
- حسنا
- ريما ! سأنزل إلى المدينة حتى اطمئن على أمي و ربما أساعد خالتي
- هل نأتي معك ؟
- لا، لا داعي لذلك، ارتاحوا لا بد من أنكم مرهقون من تعب السفر و السهر البارحة.
- حسنا سننتظرك على الغذاء
- حسنا عزيزتي، إلى اللقاء الآن
- إلى اللقاء

ذهب عمار إلى المدينة و بحلول موعد الغذاء اتصلت به سارة لكن هاتفه كان مغلقا، فأعادت الاتصال به عدة مرات لكنه لم يجب. و في وقت متأخر من الليل عاد الزوج، فأفاقت ريما التي كانت تنام على الكرسي بعدما انتظرته طويلا و نال منها التعب، و قالت:
- كم الساعة ؟ أين كنت ؟
- انشغلت قليلا في المدينة
- هل أضع لك العشاء ؟
- لا، لست جائعا، اذهبي للنوم
- حسنا، تصبح على خير

مر يومان، ثم ثلاثة.. كان عمار يتغيب فيها عن المنزل حتى أن ريما قد ساورها القلق و الشك فاتصلت بأخته في إحدى الأمسيات..

- السلام عليكم يا بشرى
- و عليكم السلام يا أختي، كيف حالك ؟
- أنا بخير، أخبريني من فضلك.. هل عمار متواجدعندكم ؟
- لا، ليس هنا
- و هل كان يأتي إليكم في الأيام الماضية ؟
- لا، لم نره منذ ليلة العرس، هل هناك مشكلة ما ؟
- لا، لا شيء مهم، كيف حال خالتي ؟
- بخير الحمد لله
- بلغيها تحياتي، إلى اللقاء
قطعت الخط ففاجأها صوت عمار و هو يقف عند باب المطبخ:
- مع من كنت تتحدثين؟
رفعت ريما رأسها و قالت بدهشة :
- آه، عمار ! لقد أفزعتني
- و لم الدهشة ؟ هل تخفين شيئا ؟
- أنا ؟ لا، ماذا عنك ؟ ماذا يحدث لك ؟
- أنا بخير، هل تريدين أن يحدث لي شيء ؟
- لا، سلامتك يا عزيزي
- سأذهب للنوم، أو تعرفين سأنام في غرفة المعيشة هذا أحسن.
لم ترد ريما أن تثير المشاكل فذهبت إلى غرفتها جريا و الدمعة على خدها.

في اليوم الموالي عاد عمار متأخرا كعادته فدخل بهدوء، و توجه نحو غرفة إلياس، أخذ المفتاح و أغلق الباب من الخارج.
مشى بخطوات خفيفة إلى غرفة زوجته التي كانت تنام بعمق، نظر إليها مليا ثم توجه إلى الحمام، ملأ حوض الاستحمام بالماء ثم عاد و حملها بذراعيه و وضعها فيه، فاستيقظت ريما و بدأت بالصراخ:
- عمار ! ماذا تفعل ؟ عمار!!
لم ينطق بحرف و لم يرف له جفن، كان كالرجل الآلي يحاول إغراقها بدون مشاعر أو مراعاةلصراخها..
- دعني يا عمار !!

كانت ريما تقاوم بكل قوتها لتنقذ حياتها، مدت يدها محاولة إمساك أي شيء، حتى لمست قطعة صلبة من الرخام كانت موجودة هناك كأن الملائكة قد وضعتها لتنقذها، فأخذتها و ضربته بها، فأمسك برأسه يصرخ من الألم، فأسرعت بالقيام و الهرب، و توجهت نحو غرفة ابنها التي وجدتها مغلقة..

- إلياس ! إلياس ! هل أنت بخير ؟

لم يأتها الرد فعادت إلى غرفتها، لمحت المفاتيح فوق المنضدة، أخذتهم بسرعة و راحت لفتح الباب..

- إلياس ! أين أنت يا ابني ؟

تناهى إلى سمعها صوت بكاء خافت ينبعث من داخل خزانة الملابس، فهرعت لفتحها حيث وجدت ابنها هناك

- إلياس !!
- أمي !
- حبيبي هل أنت بخير ؟
- نعم، لم أنت مبللة ؟
- لا شيء، لنرحل من هنا فورا، هيا !!

أمسكته من يده و خرجت تجري في ظلام الليل الدامس، فقال إلياس و هو يبكي:

- أين أبي ؟
- لن يأتي معنا
- أبي !!
- قلت لك بأنه لن يأتي
- بلى هو قادم، أنظري

التفتت ريما لتجد عمار قادما نحوها.

- ريما ! انتظري !!
- ابتعد عنا !!

زادت من سرعة جريها حتى تعثرت بحجرة و سقطت أرضا، فقال إلياس بخوف:

- أمي !!
- آااااه، آه رجلي

لحق بهما عمار، و قال و هو يركع نحو زوجته:
- ريما ! هل أنت بخير ؟
- ابتعد عنا يا عمار، أرجوك !
- ماذا تقولين يا ريما ؟ لم خرجت في هذا الليل ؟ و لم أنت مبللة هكذا ؟
- لقد حاولت قتلي
- أنا ؟؟
- أجل أنت، ملأت حوض الاستحمام بالماء و حاولت أن تغرقني.
- أنا.. أنا لم أفعل هذا !
لا تقترب مني أرجوك
- أنا آسف، لكن حقا لا أعي ما حدث، رأسي يؤلمني و...
أبعد يده من على رأسه فوجدها ملطخة بالدماء، و ما هي إلا لحظات حتى سقط أرضا..
- عمار !! عمار، أجبني، عمار !! ماذا سأفعل يا إلهي ! ساعدني يا إلياس لنحمل أباك.
أخذت ريما تجر عمار و هو يتكأ عليهما حتى وصلا إلى المنزل، أرقدته في السرير و ربطت رجله بها حتى لا يستطيع المشي ثم ضمدت جرحه بحذر، و بعد ذلك جلست على كرسي في آخر الغرفة بعيدا عنه حتى غافلها النوم.

في الصباح..
- آااااه ! رأسي ! ريما ! رأسي يؤلمني..
استيقظت الزوجة على صوت زوجها، فاقتربت منه ببطء..
- عمار ! هل هذا أنت ؟
- ريما، ماذا حدث ؟
- هل أنت بخير ؟
- رأسي يؤلمني و أشعر بدوار..
- حسنا سأجلب لك الدواء.. أعطته مسكنا للآلام ثم عادت تسأله:
- هل تحبنا يا عمار ؟
- ما هذا السؤال ؟ طبعا أحبكما، أنتما عائلتي
- الحمد لله على سلامتك

قضى عمار يومه في السرير نائما و في المساء كانت ريما تقف في المطبخ تحضر العشاء، فسمعت صوت زمجرة و أسنان تصطك من خلفها، أخذت السكين بهدوء ثم التفتت و قالت بدهشة:
- عمار !! ماذا تفعل هنا ؟
كان ينظر إليها بعينين سوداوين كظلام ليلة غاب فيها القمر، ثم تقوس على نفسه و أصدر صوتا غريبا، فقالت ريما بخوف:
- بسم الله الرحمان الرحيم، عمار ! ماذا تفعل ؟
كان صراخ عمار يعلو شيئا فشيئا، فنال الخوف من ريما و أشارت بالسكين نحوه..
- ابتعد عن طريقي !
لم يستجب لها، فراحت تقرأ القرآن في سرها، فانطلق صوت مخيف من حنجرته قائلا:
- هل تعتقدين أن ما تتلينه سينقذك مني ؟
و فتح فمه بشكل مرعب، ارتعبت ريما مما رأت، فراحت تقرأ القرآن بصوت مسموع و عال..
- باسم الله آمرك أن تبتعدعني، الله أكبر، لا إله إلا هو...
أمسك الزوج بأذنيه يصمهما و جعل يقول:
- توقفي، اسكتي، اخرسي !!
و سقط أرضا، في تلك اللحظة قفزت ريما مسرعة إلى غرفة إلياس، و أغلقت الباب بالمفتاح ثم احتضنت ولدها الذي كان يلعب، فقال باستغراب:
- ماذا هناك يا أمي ؟ لم ترتعشين ؟
لا شيء، ابق هادئا فقط، حملت هاتفها و شغلت القرآن و صارت تدعي أن تمر هذه الليلة على خير.
في الصباح الباكر، اتصلت ريما ببشرى و أخبرتها أن ترسل محمد إليهم و قبل وصوله قامت بجمع ملابس ابنها ثم تسحبت بهدوء إلى غرفتها و جمعت ملابسها أيضا ثم عادت و انتظرت مع إلياس في غرفته.
- عمار ! هل أنتم هنا ؟.. كان محمد يدق الباب ففتحت ريما و قالت بفرح:

- محمد، شكرا لقدومك
- ماذا هناك ؟
- ابن خالتك، جن جنونه
- أين هو ؟
- نائم في الداخل
اقترب محمد من عمار، فأسرعت سارة بحمل عصا حديدية، استغرب محمد من فعلتها فسألها:
- لم تحملينها ؟
- للاحتياط فقط
ثم راح يوقظ زوجها:
- عمار ! عمار، استيقظ
- محمد ! أهلا، ماذا تفعل هنا ؟
- ريما اتصلت بي
نظر إليها بتعجب و قال:
- ريما !! لم اتصلت به ؟ و لم تحملين عصا ؟!
فقالت بتوتر:
- لن أبقى في هذا المنزل دقيقة واحدة، دعونا نذهب إلى المدينة و سأروي لكم ما حدث.
ركب عمار سيارته و تبعه محمد و معه ريما و ابنها بعد أن رفضت الركوب مع زوجها، و توجها إلى بيت أمه.

اجتمعت العائلة في المنزل و بدأت ريما بسرد ما حدث،و في لحظة غير متوقعة دخل عليهم رجل و هو يقرأ القرآن.. كان شيخا اتصلت به ريما و هي في الطريق، صار عمار يصرخ و يتلوى في الأرض بينما الشيخ يقرأ الآيات القرآنية و يأمر الجن بالخروج منه.
بعد مدة من الزمن، استطاع الشيخ كسر السحر الذي وضع على عمار، فخرج من الغرفة و هو يزفر بعمق، فقالت الأم:
- هل ولدي بخير ؟
- أجل هو بخير، دعوه يرتاح قليلا، فالسحر كان قويا.
سأل محمد:
- ما نوعه يا شيخي ؟

- سحر التفريق و العياذ بالله، لكن بقدرة من الله و مباركته زال و كسر.
لا بد من أنها الخبيثة زينب.. قالت بشرى
ردت عليها ريما باستغراب:
- من تكون زينب ؟
- حبيبته السابقة، رأيتها يوم العرس، كانت تكلم عمار في الخارج.
- يجب أن أراها
- دعك منها، فأنت أفضل منها يا ريما
وقفت ريما و قالت بجدية:
- أريد أن ألقاها يا بشرى، أين تقطن ؟
- حسنا، سأدلك عليها.

توجهت ريما نحو منزل زينب و هناك فتحت والدتها الباب:
- أين زينب يا خالة ؟
- و من أنت ؟
- صديقتها
- لكن لهجتك تدل بأنك من الغرب، فكيف تكونين صديقتها ؟
- هل يمكنني رأيتها أم لا ؟
- حسنا، تفضلي سأنادي عليها
ذهبت الأم لتخبر ابنتها بقدوم ريما فوجدتها ميتة و عيناها جاحظتان، وجهها أسود كأنه محترق و أطرافها ملوية و مكسورة.
جمعت ريما حقائبها و حقائب عائلتها و قررت إنهاء هذه الإجازة، و مغادرة مدينة الزيتونة و العودة إلى مكان إقامتهم الأصلي، و حاولوا نسيان كل الآلام التي عاشوها في فترةكان من المفترض أن يستمتعوا فيها.
لم تمتنع ريما عن كتابة قصة عن هذه الزيارة و التي نشرتها تحت عنوان "أسوء إجازة".

تمت بحمد الله